# مسألة العنف ضدّ الرّهبان والبعثات الدّينية المسيحية بالمغرب من خلال المنشورات الكاثوليكية الصادرة بالمغرب زمن الحماية الفرنسية



د/ عبدالرحيم وزين
جامعة محمد الخامس –الرباط
المملكة المغربية

## الملخّص :

يصوّر كتاب الصحف الكاثوليكية الصادرة بالمغرب خلال الاحتلال الفرنسي، المغرب بمثابة بلد شكل على مرّ التاريخ، موطن عنف بامتياز في حق البعثات الدينية المسيحية وأن المسيحيين بالمغرب شكلوا على مر التاريخ ضحايا العنف الممنهج من قبل المجتمع الإسلامي المغربي وسلاطينه. فهو يعد ظاهرة ذات جذور تاريخية، وقديم قدم العلاقات بين الطرفين . فحاولت هذه الأخيرة إبراز كيف أن العنف الممنهج ضد المسيحيين بالمغرب، قد استمر حتى بعد استتباب الحكم للدولة الإسلامية بهذا البلد ومن ذلك ما رووه من أساطير تعرض العديد من الرهبان وأفراد البعثات الدينية المسيحية بالمغرب من عنف ، بعدما جاؤوا لدعوة بعض السلاطين والمسلمين المغاربة لاعتناق المسيحية ونسي هؤلاء أنّ أهل المغرب موحّدون وفي دينهم لا يفرطّون .

## Résumé :

Les écrivains des journaux catholiques au Maroc pendant l'occupation française décrivaient le Maroc en tant que pays privilègiant la violence contre les missions religieuses chrétiennes tout au long de l'histoire, et que les chrétiens au Maroc ont formé à travers l'histoire, des victimes de violence systématiques et dérigées par la société islamique marocaine et ses sultans. Ce phénomène possède ses racines Historiques qui sont, aussi vieux que les relations entre les deux parties.

Ces journaux catholiques ont essayé de mettre en évidence la violence comment étant une œuvre bien encadrée contre les chrétiens au Maroc, a continué même après la restauration de l'Etat islamique dans ce pays, en dévulgant des mythes et des légendes qui se focalisent sur ce fait , on les considérant comme des martyres de la religion, tout on oubliant que le peuple marocain possèdait ses convictions religieuses et ne permettait en aucun cas l'apostat .

## ◄ مقدّمة :

يصوّر كتاب الصحف الكاثوليكية الصادرة بالمغرب خلال الاحتلال الفرنسي، المغرب بمثابة بلد شكل على مرّ التاريخ، موطن عنف بامتياز في حق البعثات الدينية المسيحية. وقد تجلت مظاهر هذا العنف حسب هذه الصحف، منذ البدايات الأولى لنشر الإسلام بالمغرب، ففي عدد شهر شتنبر 1927، كتبت *Revue d'Histoire des Missions*: « شئنا أم أبينا، فإن الإسلام ظل ومنذ زمن بعيد، في عدد من ممتلكاتنا عبارة عن آلة حربية مقنعة تقريبا، مصوبة ضدنا »(1).

ورسم كتاب هذه الصحف صورا نمطية، سعوا من خلالها إلى إبراز كيف أن العنف الممنهج ضد المسيحيين بالمغرب، قد استمر حتى بعد استتباب الحكم للدولة الإسلامية بهذا البلد، ومن ذلك ما تعرض له العديد من الرهبان وأفراد البعثات الدينية المسيحية بالمغرب من عنف بالمغرب، بعدما جاؤوا لدعوة بعض السلاطين، والمسلمين المغاربة لاعتناق المسيحية.

## ◄ 1 – روايات مسيحية حول العنف ضد البعثات والرهبان المسيحيين بالمغرب

عرف المغرب خلال مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، وفود إرساليات دينية مسيحية كانت تتشكل من تنظيمين بارزين، ويتعلق الأمر بنظام الرهبان الوعاظ *(Frères Prêcheurs)*، أو الدومينيكان *(Dominicains)*، ونظام الرهبان الفرنسيس *(Frères Mineurs)*، أو الفرنسيسكان(2) *(Franciscains)*، واللذان تم إحداثهما تحت رعاية البابا «إينسون الثالث» *(Innocent III)* والبابا «هنريوس الثالث» *(Honorius III)*. وبالرغم من وجود تنظيمين مسيحيين مختلفين بالمغرب، فإن تاريخ الكنيسة بالمغرب، وكما لاحظ ذلك «د كاستري» *(H. de CASTERIES)* ارتبط بتاريخ الفرنسيسكان(3). وكانت الغاية من إحداث هذا التنظيم تبليغ الإنجيل للمسلمين، وب4صفة خاصة تنصير سلاطين المغرب، على اعتبار أن ذلك يؤدي إلى تنصير المجتمع المغربي قاطبة. وكان إلحاح أعضائه على هذا الأمر، ينتهي بحياتهم في غالب الأحيان كما هو حال الإرسالية الدينية التي أرسلها مؤسس هذا التنظيم «القديس فرنسوا داسيز»، والتي حلت بالمغرب نهاية سنة 1219م، بهدف تنصير السلطان الموحدي يعقوب بن يوسف المستنصر، فتعرضوا للإعدام على يده في 16 يناير 1220م.

### ◆ أ . إعدام البعثة الفرنسيسكانية بمراكش في 16 يناير 1220م

كانت هذه البعثة تتكون من خمسة رهبان إيطاليين(5)، جاؤوا لدعوة السلطان الموحدي يعقوب بن يوسف المستنصر، والمسلمين المغاربة لاعتناق المسيحية. وقد توقف أفرادها بداية بالبرتغال، بعدما عبروا اسبانيا، حيث تم استقبالهم بقصر الأميرة «سانشير» *Sancher*، أخت الملك «ألفونس الثاني» *(Alphonse II)*، ثم توجهوا بعد ذلك نحو الأندلس، فحلوا بصقلية التي دخلوها في صفة تجار واستقروا بها لمدة ثمانية أيام، خلدوا خلالها للراحة في شبه خلوة تامة عند أحد كبار التجار المسيحيين. ولما عزموا إتمام مهمتهم، نزعوا ملابسهم العادية، وارتدوا لباسهم الديني، ثم اتجهوا صوب أحد المساجد لتلقين عقيدتهم المسيحية، إلا أن المسلمين تمكنوا من صدهم، فاتجهوا صوب مسجد آخر أكبر، حيث

واجهوا نفس الموقف. وقد أصر الرهبان الإيطاليون الخمسة على موقفهم، وأعربوا عن رغبتهم في التوجه إلى حاكم صقلية إدريس المامون، معلنين له أنهم: «سفراء ملك الملوك السيد المسيح، وأنه هو الإله الحق، حتى ولو كان ثمن ذلك تعرضهم للموت الجسدي »[6]. وكان من ردود فعل حاكم صقلية أن أمر بقطع رؤوسهم إلا أن تدخل ابنه حال دون تنفيذ الحكم.

واستمر عناد أفراد هذه البعثة، الذين أصروا على استكمال مهمتهم، فصعدوا أعلى أبراج المدينة وأخذوا يدعون المارة إلى اعتناق المسيحية، مما جعل الأمير يقتنع أن بهم «ضربا من المسّ»، فأمر بإدخالهم أحد السجون في أفق إرسالهم إلى بلدانهم. وقد ارتأى حاكم صقلية، فيما بعد أن يخيرهم بين إرجاعهم إلى بلدانهم، أو أن يبعث بهم إلى المغرب فاختاروا أن يرسلهم إلى سلطان المغرب آنئذ، بعدما أعربوا له، أنهم: « مستعدون لتحمل أي شكل من أشكال الموت لأجل المسيح عيسى»[7]، فقام حاكم صقلية بإيفادهم إلى عمه يعقوب بن يوسف المستنصر الموحدي. واستغرب الحكام المسلمين من تصرف هؤلاء الغرباء، والذين لا يشبهون في شيء سلوك الرهبان الذين كانوا يعرفونهم منذ زمن بعيد داخل فنادق التجار التي كانوا يرتادونها.

وقد كان في خدمة السلطان المذكور أخ الملك البرتغالي «دون بيدرو» *(Don Pedro)* الذي كان بالمغرب، فأكرم ضيافة أفراد هذه الإرسالية، ولما علم برغبتهم في تلقين المسيحية للمسلمين، نبههم إلى خطورة إقبالهم على ذلك الأمر، وإلى ضرورة توخي الحيطة والحذر، لما يمكن أن يثيره من رد فعل جماهيري ضد جميع المسيحيين المستقرين بعاصمة الإمبراطورية. إلا أن حماس هؤلاء الرهبان، جعلهم يقومون بالدعوة من جديد إلى المسيحية في صفوف المسلمين، فأمر السلطان بإبعادهم إلى بلدانهم. وعلى إثر ذلك قام «دون بيدرو»، بإرسالهم إلى سبتة في أفق عودتهم إلى أوطانهم، غير أنهم اختفوا عن الحرس، وعادوا من جديد إلى عاصمة المغرب مراكش، حيث تم حبسهم ثم أطلق سراحهم، بعدما اتخذهم «دون بيدرو» ككهنة ضمن كتيبة عسكرية مسيحية كانت في طريقها نحو تأديب إحدى القبائل المتمردة[8].

وبمجرد عودة هذه الكتيبة، فر الرهبان من مقر إقامتهم، حيث كانوا يخضعون للحراسة، وتوجهوا للمرة الثالثة نحو مكان عمومي، قصد دعوة الناس لاعتناق المسيحية، وقد صادف ذلك يوم جمعة حيث كان السلطان مارا بالقرب منهم، فبلغ درجة من الغضب الشديد وأمر بقطع رؤوسهم. ومساء ذلك اليوم، استدعاهم من جديد أبو سعيد (وزير المالية حينئذ)، واستفسرهم عن سبب دخولهم إلى المغرب بدون رخصة، بالرغم من أن المغرب في حالة حرب مع بلدهم، فأخبروه بأنهم أتوا بأمر من زعيمهم «فرنسوا داسيز»، الذي أوفد رهبانا آخرين، عبر ربوع العا لم من أجل تحقيق السلام، « وقد جئنا — يقول هؤلاء الرهبان – لأجل هدايتكم إلى المسيحية، وأن نبين لكم أنتم الكفار، أننا نحبكم في الله، بالرغم من أنكم أعداء لنا ». ولما حاول أبو سعيد عبثا، إقناعهم بالعدول عن فعلهم ذلك، زادوا إصرارا ووصف أحدهم (أوتان)، الإسلام بـ«الطريق الخاطئ» و«الكاذب» فقام أبو سعيد بردهم إلى السجن وأخبر السلطان بكل ما دار بينه وبين الرهبان الخمسة من حوار. ولما عرضوا من جديد على السلطان حاول من غير جدوى صرفهم عن اندفاعهم ذلك، وطلب منهم الدخول في الإسلام، وأن يزوجهم، ويهب لهم المال، وكل الإكرام الذي يريدون، لكنهم رفضوا كل ذلك، معلنين له أنهم «يحتقرون أي شيء لأجل المسيح»[9]، بينما طلبوا منه، التخلي من جديد عما أسموه بـ « عقيدته الفاسدة »[10]. وعلى إثر ذلك صاح السلطان: «إذن، فإن ساعدي وسيفي

سوف يقتصون منكم جيدا، ومن حماقاتكم هاته»[11]. وفي تلك الأثناء تدخل زعيمهم «برار»، مخاطبا السلطان: « أيها الملك القوي، لقد قمنا بكل ما في استطاعتنا من أجل إخراجك من خطيئتك، ولكي نبين لك العقيدة الصحيحة، غير أن عنادك، لم يعد له من مبرر، فسأظل وإخواني أوفياء للمسيح عيسى سيدنا وإلهنا، والذي نتأسف لكوننا لا نملك حياة أخرى لكي نمنحها له، حبا فيه وفي دينه، إننا لا نهاب الموت، والتي نجد أنها قد تأخرت عنا كثيرا وتأخر معها مجدنا وعزتنا. إننا نسامحك عن كل ما اقترفته في حقنا من مساوئ، ولكننا سنكون مرتاحين جدا، إذا تخليت عن أخطائك، وسمحت للعقيدة المسيحية الحقة أن تلج إلى قلبك »[12]. وقد كان جواب هؤلاء الرهبان مستفزا للسلطان الموحدي الذي ثار غاضبا، وقام شخصيا بقطع رؤوسهم يوم الثلاثاء 16 يناير 1220م على الساعة الحادية عشر صباحا[13].

وبالرغم من الاختلاف الحاصل حول بعض تفاصيل اغتيال أول بعثة فرانسيسكانية إلى المغرب، فإن العديد من الكتابات المسيحية الصادرة في المغرب إبان الاستعمار، قد تناقلت الروايات الواردة ضمن المصادر والكتابات المسيحية المعاصرة لهذه الحقبة دون تمحيص، والتي تحكي أن المغرب وسلطان المغرب، قد تعرضا لغضب إلهي جراء ما اقترف في حق الرهبان الخمسة، مشيرة مثلا، إلى أنه بعد «المأساة الدامية» للسادس عشر من يناير 1220م تعرض السلطان أبو يعقوب لشلل نصفي بدءا من اليد التي قامت بقطع رؤوس «الشهداء الخمسة» إلى الرجل، كما تسلط الجفاف على البلاد لمدة خمس سنوات. وقد انضاف إلى هذه المصيبة زحف الجراد والطاعون، حيث خلفت المجاعة والأمراض العديد من الضحايا[14]. أما القس «هنري كولر» والذي عرف باختصاصه في تاريخ الكنيسة والبعثات الفرانسيسكانية بالمغرب، فقد كتب أن السلطان المستنصر بالله، توفي « بطريقة بئيسة » بعد ذلك بقليل، إذ تعرض سنة 1224م لضربة قوية من طرف بقرة متوحشة أردته قتيلا خلال إحدى حصص مصارعة الثيران، التي كان معجبا بها[15].

كما تحكي هذه الكتابات، أنّ من نتائج الكوارث المتعاقبة على المغرب، أن تمردت القبائل الجبلية معتقدة أن هذه المصائب كانت عقابا من السماء نتيجة المعاملات القاسية التي تعرض لها «كاسيس فرانس» *(Casis francs)*، وهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على الفرانسيسكان، حيث عبروا في جماعات، مجموع الأماكن التي شهدت معاناة «الشهداء القديسين»، وبصراخ يملأه الحزن، كانوا يستعطفون السماء لأجل وضع حد لهذه المصائب[16]. وتحكي هذه الكتابات، أنه بمجرد ما تم التفوّه بهذه الصلوات، حتى بدأ المطر يتساقط بغزارة وكدليل اعتراف، توجهت وفود الجماهير نحو قصر السلطان مطالبين هذا الأخير بـ « التكفير أمام الملأ، عن خطئه»، مما دفع بالسلطان إلى أن يصدر مرسوما رخص من خلاله، بتشييد خمسة معابد بالمغرب لكي يتمكن المسيحيون من ممارسة عقيدتهم، شريطة أن تخضع هذه المعابد لإمرة أحد الرهبان بنفس اللباس ونفس التنظيم الديني الذي ينتمي إليه الرهبان الذين نفذ في حقهم حكم الإعدام، وبما أن عدد هؤلاء كان خمسة، فقد كانت هنالك خمسة معابد تم تشييدها على شرفهم[17].

وإذا كان من غير المعقول تصديق هذه «الرواية المسيحية الخرافية»[18]، فإن كتاب الصحف المسيحية الصادرة في المغرب زمن الحماية، قد تناقلوها دون أدنى نقد أو تمحيص، وهو الأمر الذي أشار إليه «بيير د سنيفال» *(Pierre de CENIVAL)*. حينما أكد على أن « المؤرخين القدامى، ومؤرخي القديسين الفرانسيسكان (..) قدموا تفسيرات خاطئة »[19]

فيما يتعلق بالمصائب التي حلت بالمغرب عقب إعدام الرهبان الفرانسيسكان الخمسة.

### ◆ب . اعدام بعثة سبتة في 10 أكتوبر 1227

منح حدث إعدام الرهبان الخمسة فرصة لتزايد أعداد الرهبان الوافدين على المغرب الراغبين في «الاستشهاد»، من كبار التنظيمات الدينية الكاثوليكية، إذ أن سجل الاستشهاد الطويل، يضم أسماء اسبانية، وبرتغالية، بل وحتى انجليزية، غير أن الإيطاليين يحتلون المرتبة الأولى ضمن هؤلاء.

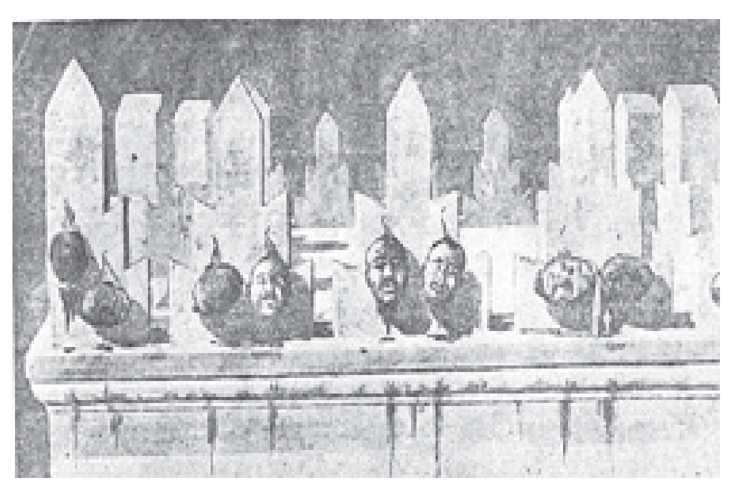
وغير بعيد من تاريخ إعدام الرهبان الفرانسيسكان الخمسة بمراكش، تم في 10 أكتوبر 1227 إعدام ستة فرانسيسكان ينحدرون من منطقة «كلابر» *(Calabre)* جنوب إيطاليا، بقيادة الراهب «دانيال» *Daniel*[20]، وقد رغب أفراد هذه البعثة في «الاستشهاد» بالمغرب على غرار سابقيهم. وبعدما حلوا بسبتة، قضوا بضعة أيام في إحدى ضواحي المدينة، لدى بعض التجار الأوربيين، إلا أنهم أصروا على تلقين المسيحية لأهالي هذه المدينة، فاجتازوا أسوارها في 30 شتنبر 1227م، وأخذوا يدعون لدين المسيح عبر مختلف أسواقها وساحاتها. وقد أثار من جديد سلوك أفراد هذه البعثة دهشة المسلمين باعتباره حدثا جديدا لم يألفوه من قبل ونظرا للجرأة التي كان يتصرف بها الرهبان، لم يترددوا في التعبير عن سخطهم ضد أفراد هذه الإرسالية، و«معاملتهم لهم بكل أشكال القسوة». ونظرا لكونهم لم يتمكنوا من ترهيبهم وتوقيفهم، فقد سلموهم إلى السلطان الذي حاول هو الآخر صرفهم عبثا عن فعلهم ذلك، فأدخلهم السجن حيث مكثوا به ثمانية أيام ولما حضر هؤلاء الرهبان الفرانسيسكان الستة بين يدي السلطان لم يتوقفوا على غرار سابقيهم عن التوسل إليه لأجل التخلي عن «خطاياه» واعتناق المسيحية. وقد دفع إساءة الأدب لأفراد هذه البعثة بحضرة السلطان، أحد الجنود الحاضرين إلى أن يستل سيفه، ويضرب به رأس الراهب «دانييل». ولم يزعزع هذا الحدث « ثقة رفقائه، والذين اقتنعوا أن لحظة الاستشهاد قد حلت، فسجدوا شاكرين له منحهم هذا الشرف. ولما فقد السلطان أي أمل في ثنيهم عن مسعاهم والحد من عزيمتهم، أمر بقطع رؤوسهم »[21].



**المصدر:**
(*Le Maroc Catholique*, juin 1936, p. 176)-



المصدر:
( *Maroc Catholique*, juillet 1943, p. 159)




المصدر:
*(Le Maroc Catholique, mai 1945, p. 113)*

نماذج من رسوم نشرتها مجلة Le Maroc Catholique عمن تسميهم «الشهداء المسيحيين الأوائل بالمغرب» و»العنف» الذي تمت ممارسته ضد المسيحيين بالمغرب.

### ◆ ج – تزايد وفود البعثات والرهبان المسيحيين نحو المغرب بحثا عن «الاستشهاد»

مسألة العنف ضد المسيحيين، الذي يتهم به كتاب الصحف الكاثوليكية السلاطين والمجتمع الإسلامي المغربيين، لم يتوقف حتى خلال مرحلة الوجود الإيبري المسيحي بالسواحل المغربية [22] والذي فتح شهية الرهبان الفرانسيسكان للتوغل من جديد داخل البلاد. وتحكي *L'Almanach de Saint-François* أن «الراهب أندري د سبوليط» *(André de Spolète)*، تقدم في اتجاه فاس العاصمة الثانية لإمبراطورية المغرب، حاملا الإنجيل في يده، وبدأ يدعو إلى المسيحية وسط عموم الناس (..) ولم يتردد في أن يقدم لهم الدليل على صدق دعوته مقترحا عليهم أن يقذف به في النار[23]. أما *Le Maroc Catholique*، والتي أعادت سرد تفاصيل قصة «استشهاد» هذا الأخير لأكثر من مرة فتحكي أن السلطان أحمد الوطاسي الذي كان «أندري د سبوليط» يرمي إلى تنصيره، لم يرد اغتياله بالرغم من الكلام المستفز لهذا الأخير، والذي كان يدعي أنه دليل على صدقه وذلك تبعا للاتفاقية المغربية البرتغالية التي كانت سارية المفعول آنئذ الموقعة بأصيلا في 29 غشت 1471م، والمجددة من قبل جان بول الثاني في 27 غشت 1489م، والتي كانت تنص على ألا يتعرض الأسرى المسيحيون لأي نوع من التعذيب [24]. إلا أن إصرار الراهب المذكور، تحكي *Le Maroc Catholique* ، دفع السلطان الوطاسي إلى أن يرسل في طلب العديد من العلماء المسلمين والكهنة اليهود لمناقشة أي الأديان يعد صحيحا غير أن «د.سبوليط» لم يتوقف عن الإدعاء بأنه «ملاك موفد من الله»، ولما عجز عن إقناعهم أضاف مسترسلا: «إن الكلمات تبقى مجرد كلمات فلننتقل إلى ما هو عملي. أوقدوا النار في محطبة وليتقدم أحد اليهود أو المسلمين كل يمثل معتقده وأنا سأقوم بنفس الأمر والنار هي التي ستؤكد

من دينه هو الصحيح»[25]. وتشير هذه الأخيرة إلى أن هذا الاقتراح قد أعجب السلطان الذي لم يجد من بين المسلمين واليهود من يركب المغامرة، فطلب من المبعوث الديني أن يوقع مع شهيدين اثنين على عقد رسمي يؤكد من خلاله بأنه راغب من تلقاء نفسه، في الدخول إلى المحطبة. وحسب نفس المجلة، فقد تم إيقاد النيران لمدة ثلاثة أيام، وكانت المحطبة تضم أربعين شحنة من الحطب تم تزويدها بمسحوق الكبريت [26]، وقبل أن يركب «سبلوليط» الرهان، أخذ يرجو الحاضرين الاعتقاد في الثالوث وتلقي التعميد، ثم جلس على ركبتيه مصليا ودخل المحطبة، فانطفأت النيران الملتهبة مرتين، ثم اشتعلت من جديد وبعدما خرج دون أن تمسسه النار، قام فريق من الجمهور بتكسير جمجمته عن طريق رشقه بالحجارة، وذلك في يناير 1532م [27].

كما تحدث «فليب لورن» أنه في سنة 1533م هلك في ظروف غامضة، اثنان من الرهبان الفرانسيسكان الاسبان. وفي 1540م تم اعتقال الراهب الفنلندي «كلينار» *(Clénard)* المعروف بشغفه بافتداء العبيد المسيحيين. كما تم في 1624م، اعتقال ثلاثة رهبان كبوشيين *Capucions* بآسفي، وأودعوا بسجن مراكش حيث قضوا نتيجة إصابتهم بالطاعون. وفي سنة 1630م، سجن ثلاثة فرانسيسكان بمراكش حيث نال زعيمهم «خوان د برادو» *Le Bx* [28] *Jean de Prado* «شرف الشهادة» [29]. ويحكي «هنري كولر» تفاصيل اغتيال هذا الأخير، الذي حل في 1630م بالجديدة، ثم توجه نحو مراكش معية رفقائه، حيث كان يطمح لملاقاة السلطان عبد المالك السعدي، والذي كان يحمل إليه رسائل من قبل دوق مدينة «سيدونيا» *(Sidonia)*، غير أنه لم يتمكن من المثول إلا بين يدي الوليد بن عبد المالك الذي كان قد عين خلفا لأبيه، فأمرهم بالرحيل، ولما رفضوا الامتثال لأمره سجنهم، حيث ظلوا في خدمة الأسرى المسيحيين. وفي الوقت الذي تم فيه إطلاق سراحهم، فإن «حياة هذا العجوز، ذو العزيمة القوية قد انتهت بالاستشهاد، إذ بعد تعرضه للجلد المدمي وجه السلطان صوبه سهاما اخترقت جسمه، ثم ألقي به نصف ميت في محرقة، حيث هلك في 24 ماي 1631» [30].

وقد شكلت فترة حكم السلطان المولى عبد الملك، الذي كان وراء قتل هذا الأخير حسب *Le Maroc Catholique*، والتي امتدت مابين 1627 و1631، « مرحلة عصيبة » في تاريخ الوجود المسيحي بالمغرب. إلا أن كتاب هذه الصحف يكادون يجمعون على أن سلاطين المغرب، كانوا جميعهم «سفاكي دماء»، تقول هذه المجلة: «هناك العديد من الشهادات التي تؤكد مدى القساوة التي تعرض لها المسيحيون بالمغرب. ومن الخطأ الاعتقاد أن مثل هذه الفظاعة تعد استثناء، فعلى الرغم من العدد الوافر من السلاطين الذين حكموا بعض أطراف الإمبراطورية الإسلامية، فإن الأمراء الطيبين كانوا يمثلون استثناء» [31].

في هذا السياق، شكلت مرحلة حكم السلطان مولاي إسماعيل مادة خصبة للعديد من كتاب ومحرري *Le Maroc Catholique*، والذين أسهبوا في وصف ما تعرض له الأسرى المسيحيون من «ظلم، وجور وتعسف، وقهر، وتعذيب، وتقتيل» على يديه***** والذي تم وصفه بأسوأ النعوت [32]. يقول «ت. كاريير» في هذا الصدد: « للتذكير بمدى قساوته فقد كان يجد لذة كبيرة في اغتيال ضحاياه تحت وطأة التعذيب الأشد قسوة والأكثر تنوعا، ذلك أن مختلف أشكال التعذيب المستعملة منذ القديم وإلى حدود الفترة المعاصرة، قد تم استعمالها كما كان يسعى جاهدا لابتكار أشكال جديدة، دون أن نغفل الأشخاص الذين قام بحرقهم أحياء، أو

ألقى بهم في سخانات الماء المغلى، أو أولئك الذين تم قتلهم تدريجيا عن طريق بتر أعضائهم، وتعليقهم من أرجلهم، أو الذين دفنوا أحياء أو تركوا يموتون جوعا.. » [33].

أما «هنري كولر»، فقد انفرد بسرد أعجوبة نجاة الأسير الفرنسي «برنار بوسي» *(Bernard BOUSSET)*، بعدما ألقى به السلطان مولاي إسماعيل داخل أحد سجون مدينة مكناس، لتفتك به السباع في 15 فبراير 1681 [34]. وفي جانب آخر أشار «هنري كولر»، بالاستناد إلى سجل الأموات أن أحكام الإعدام المنفذة بأمر أو على يد السلطان مولاي إسماعيل نفسه، قد بلغت 127 حكما خلال تسعة وثلاثين سنة، دون احتساب الإثنتي عشر سنة الفارطة من حكم السلطان، ويضيف أنه إذا احتسبنا عشرة أحكام بالإعدام خلال السنوات التي سبقت هذا التاريخ، وإذا افترضنا عددا تقريبيا للأحكام المنفذة منذ سنة 1672م إلى سنة 1684م، فإننا سنحصل على ما مجموعه 130 إلى 140 حكما بالإعدام في حق المسيحيين طيلة فترة حكمه [35]. ويرى «هنري كولر»، الذي قام بإعادة نشر أسماء المسيحيين الذين تم اغتيالهم، على يد السلطان مولاي إسماعيل أو بأمر منه، وتاريخ وطريقة اغتيالهم [36]، أن العدد الحقيقي لهؤلاء بعيد كل البعد عن الأرقام المبالغ فيها، التي وردت ضمن بعض الكتابات المسيحية المعاصرة حينئذ، والتي تحدثت عن مقتل 20.000 مسيحي خلال عشرين سنة من فترة حكم السلطان مولاي إسماعيل، أو تلك التي روت مقتل 36.000 مسيحي خلال 26 سنة من حكمه [37].

وبعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل تصارع أبناؤه على العرش، وقد صادف ذلك حسب «فليب لورن»، مقتل 53 مسيحي ورجل دين، كما تعرضت مقراتهم للتخريب، وعرف أسرى مدينة فاس « مضايقات شديدة » [38]. وبالرغم من هذه الأحداث، فإن العنف الممنهج – يضيف هنري كولر– من قبل سلاطين المغرب تجاه المسيحيين لم يكن بنفس الحدة على عهد السلطان المولى اسماعيل ذلك أن ابنه الذهبي لم يقتل في المجموع سوى ثلاثة مسيحيين، أما عبد المالك فلا أحد. وبالنسبة لخلفه المولى عبد الله بن إسماعيل، فمن الواضح أن فترة حكمه، قد شكلت ما تسميه هذه الكتابات ببداية «عهد لين وتعاطف» تجاه الإرساليات الدينية والأسرى المسيحيين عموما [39].

## ◄ د . اغتيال الراهب «ميشال فابر» خلال أحداث فاس الدامية أبريل 1912

تشير الكتابات المسيحية إلى أن العنف ضد المسيحيين بالمغرب، لم يتوقف حتى خلال السنوات الأولى لفرض الحماية الفرنسية على المغرب والذي صادف بداية تدفق العديد من رجال الدين رفقة الجيش والمعمرين الفرنسيين، الذين لم يسلموا أنفسهم من استهداف المقاومين المغاربة. فقد أشار «ألفريد فريير» [40]، في الذكرى التاسعة للأحداث «الدامية» التي شهدتها فاس المدينة، على إثر دخول القوات الفرنسية إليها، إلى أن هذه الأحداث خلفت مقتل اثني عشر ضابطا، وستة ضباط صف، واثني عشر مدنيا، ومرشد عسكري فرانسيسكاني [41]، ويتعلق الأمر بالقس «ميشال فابر» *Michel FABRE*، الذي قتل يوم 17 أبريل 1912، عند « بوابة فندق فرنسا في حي الطلعة » [42]. ويضيف «ألفريد فريير»، والذي روى تفاصيل اغتيال هذا القس: «سيظل هذا اليوم مسجلا ضمن حوليات تاريخنا الاستعماري بحروف من دم (..) وشاهدا على أن المسيحيين تدفقوا على أرض رويت بدماء الشهداء»[43]. كما تجدر الإشارة

إلى أن كتاب الصحف المسيحية الصادرة في المغرب، قد استغلوا هذا الحدث لربط الماضي بالحاضر، والتذكير من جديد بما يسمونه «تضحيات» العناصر الفرانسيسكانية لصالح فرنسا ومن ذلك ربطه بحادث اغتيال الرهبان الفرانسيسكان الإيطاليين الخمسة سنة 1220م وهو ما ورد بقلم القس «ماري-باسكال أنكلد»: « على بعد سبعة قرون، تمت من جديد، عن طريق إراقة دماء الفرانسيسكان، حيازة أراضي، سيتم فتحها في وجه النشاط البابوي لصالح الفرانسيسكان الفرنسيين» (44). أما القس «هنري كولر» فقد سبق وأن قدم افتتاحية كتابه «التوغل المسيحي بالمغرب- البعثة الفرانسيسكانية بمكناس» في أبريل 1914 بإهداء خاص إلى مؤسس التنظيم الفرانسيسكاني «فرانسوا داسيز»، الذي يقول الكاتب: «حاول الغزو السلمي للمغرب، وإلى أبنائه الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فدية لذلك (..) وإلى الصديق الذي حدا حدوهم الأب «ميشال فابر»، الذي أتى إلى المغرب لخدمة الرب ووطنه، فسقط بمجد قتيلا بفاس في 17 أبريل 1912» (45). كما تحكي *Le Maroc Catholique*، أن القس «هنري كولر» قام في يونيو 1922، بإلقاء محاضرة بمدينة بوردو الفرنسية، شهدت حضور آلاف المستمعين، إحياء للذكرى العاشرة لاغتيال الفرانسيسكاني «ميشال فابر»، الذي «سقط بمجد ضحية، بمدينة فاس في سبيل الرب، وفي سبيل فرنسا»، مشيرا إلى أن «دماء الفرانسيسكان أبناء فرنسا قد سالت عدة مرات منذ عشرات السنين بأرض المغرب » (46).

ونتيجة عملية الاغتيال التي تعرض لها «ميشال فابر»، أمر ليوطي في 19 يوليوز 1912 بتحويل مقر التلغراف الكائن بجانب الفندق الذي اغتيل به هذا الراهب، « والذي - يقول «جان بيدرون»- روي بدماء شهداء الحضارة إلى خورنية صغيرة تحمل اسم «القديس ميشال» 47 *Saint Michel*. كما أصبح الاحتفال بذكرى اغتيال هذا الأخير طقسا كهنوتيا سنويا بكنيسة فاس-المدينة (48).

إلا أن اغتيال القس «ميشال فابر»، لم يشكل الحادثة الوحيدة بالمغرب، بالنسبة لرجال الدين الفرانسيسكان، خلال عمليات «الباسيفيكاسيون» إذ مافتئ أن التحق به الأب «هلير فيريي» *Hilaire VERRIER*، «على إثر كمين» نصب له في 18 يونيو 1918 (49)، أثناء زيارته لأحد المراكز الكنسية بمنطقة بولطان بوجدة، تحكي *Le Maroc Catholique* 50.

## ◄ 2 - تحليل ومناقشة الروايات المسيحية بصدد العنف ضد المسيحيين بالمغرب :

هكذا نلاحظ، أن الصحف الكاثوليكية الصادرة في المغرب، تصور أن المسيحيين بالمغرب شكلوا على مر التاريخ ضحايا العنف المنهج من قبل المجتمع الإسلامي المغربي وسلاطينه فهو يعد ظاهرة ذات جذور تاريخية، وقديم قدم العلاقات بين الطرفين. والملاحظ أن الطريق الذي كان ينهجه الرهبان الفرانسيسكان كان ينتهي بأحداث مأساوية، إذ يتضح من خلال ما روته لنا هذه الكتابات الكاثوليكية، أن هدف الرهبان الفرانسيسكان من القدوم إلى «إمبراطورية أمير المؤمنين» (51) *(L'Empire de Miramolin)*، هو البحث عما يسمونه ب»الاستشهاد»، وقد كان ذلك يتوقف على الدعوة لاعتناق المسيحية وسط جموع المسلمين في المساجد والأسواق والطرقات والأماكن العامة، كوسيلة لأجل تسليمهم إلى السلطان قصد المواجهة المباشرة معه، ومطالبته باعتناق المسيحية مستلهمين أفكارهم من نموذج زعيمهم القديس «فرانسوا داسيز»، والذي سمعوه يردد مرارا أن

استمالة السلطان يعني استمالة الشعب بكامله [52] *(Gagner le Roi c'est gagner le peuple).*
غير أن حساباتهم كانت دائما محل خطأ، إذ عوض أن يعتنق السلطان المسيحية، كانوا يفضلون أن تكون نهايتهم على يديه؛ ذلك أن مجيئهم للمغرب والدعوة علنا لاعتناق المسيحية، وسب الرسولﷺ واتهام الإسلام بالعقيدة الخاطئة، ليس من شأنه إلا أن يثير حفيظة المسلمين.

كما أن هؤلاء الرهبان المسيحيين، إيطاليين واسبان، وبرتغاليين، لم يكونوا يعرفون مقدار تمسك المسلمين بدينهم، وكتابهم المقدس، ونبيهم الذي يتجاهلونه، غير أنهم كانوا يأتون جميعهم بنية مزدوجة: السهر على خدمة عقيدة المسيحيين ولكن كذلك محاولة تنصير المسلمين، سعيا نحو تحقيق النجاح حيث فشل سابقوهم، فهذا الأمل لم يفارق أبدا أيا من البابوات أو أي مبعوث مسيحي [53]. وهو ما يمكن أن نلمسه بعمق في النداء الذي وجهه مؤسس التنظيم الفرانسيسكاني «فرنسوا داسيز» إلى مؤيديه وأتباعه، معتبرا أن مسألة إرسال هذه البعثات يعد أمرا إلهيا، وقد جاء في طلبه هذا: « إن الرب قد أمرني، أبنائي الأعزاء، أن أرسلكم إلى بلاد المسلمين لتبليغ وتعليم عقيدته، ولمحاربة الإسلام » [54]. وسعيا نحو تحقيق هذه النتائج، فقد كانت هذه الإرساليات الدينية، تستعمل جميع وسائل الإقناع بهدف إنشاء كنيسة مسيحية بالمغرب، من خلال قبولها جميع أشكال التعذيب، بما فيها التعرض للموت، وذلك لأجل تحريك شعور وإثارة شفقة كل المترددين من السلطان وحاشيته، والذي ظل في مقدمة المستهدفين لاعتناق المسيحية.

لذلك فإن فشل هؤلاء الرهبان في مهماتهم يرجع إلى وحدة وتماسك عقيدة المسلمين من جهة ومن جهة أخرى، فقد كان هؤلاء الرهبان على جهل تام بحقيقة الإسلام، فهذه الملاحظة أكدها «لوي ماسينيون» *Louis MASSIGNON* نفسه حينما أشار إلى «أن هؤلاء «الاستشهاديين» كانوا لا يتحدثون اللغة العربية، ويجهلون أي شيء عن الإسلام، كما أنهم لا يهتمون بالميسيولوجيا *Missiologie* (علم التنصير) ولا بروح الإسلام، والذي لا يشكل بالنسبة إليهم سوى فرصة سانحة لأجل تأكيد مدى وفائهم للرب الذين هم في عجلة لملاقاته » [55].

وبخلاف ما أشارت إليه المنشورات الكاثوليكية الصادرة في المغرب إبان الحماية، حول تعطش المسلمين وسلاطين المغرب لدماء المسيحيين خلال الحقبتين الوسيطة والحديثة، وحتى المعاصرة، بل هناك من ذهب إلى حد الحديث عن « هلكوست» [56] *Holocauste* حقيقية في حق الرهبان الفرانسيسكان الأوائل، فإن ما ينبغي استنتاجه، خاصة من خلال الحادثتين الأولى والثانية، حيث تم اغتيال أفراد الإرساليتين المسيحيتين في كل من مراكش وسبتة وبشهادة هؤلاء الكتاب أنفسهم أن سلاطين المغرب وحكامه، كانوا يبدلون قصارى جهدهم، لأجل ثني هؤلاء الرهبان عن مساعيهم وإرجاعهم إلى بلدانهم. إلا أن هؤلاء كانوا يصرون على اعتناق سلطان المغرب للمسيحية، أو الموت على يديه، وهو ما كان يتحقق بعد المحاولات المتكررة من غير جدوى لتفادي هذا المصير المؤلم، ذلك أن « حب الاستشهاد- يضيف «لوي ماسنيون» - بالنسبة للشهداء الفرانسيسكان الأوائل *(Proto martyrs franciscains)* بكل من مراكش وسبتة، يشكل وسيلة مختصرة وغير مكلفة بمقدار ما هي سريعة لأجل البحث عن الموت في سبيل العقيدة المسيحية، ثم لأجل تأكيد مدى تبرم جلاديهم الذين هم معذورون حقا » [57].

فمسألة العنف، وعدم تسامح الإسلام، التي تتحدث عنه هذه الكتابات، لا تستند إلى أي أساس

صحيح[58]، وتوضح العديد من المصادر والأرشيفات التاريخية العربية وحتى الغربية خلال العصر الوسيط أنه طالما كان المسيحيون يعيشون في المغرب متفادين استفزاز وجرح أحاسيس المسلمين، وطالما كانوا يحترمون حرفية وروح المعاهدات المتفق عليها من قبل ساداتهم (الباباوات والأمراء)، فإنهم كانوا يجدون في ساكنة المغرب وحكامه، أجل التقدير والحماية الأكثر إنصافا[59]، هذا في الوقت الذي نجد فيه كتاب هذه الصحف، كما هو شأن المؤرخين المسيحيين كانوا يتعمدون نفي ذكر أي شكل من أشكال التسامح الديني، لكي يتهموا المسلمين بالتعصب الديني واضطهاد المسيحيين وانتهاك حقوقهم[60]، متغافلين عمدا الإشارة إلى ما تعرض له المسلمون واليهود على حد سواء من حالات تعصب وعداء معلنين، نتيجة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والدينية الحادة، التي كانت تعيشها شبه الجزيرة الإيبرية، وبصفة خاصة نتيجة إحداث محاكم التفتيش، التي عانى المغاربة من عنف محققيها، حيث تعرضوا على أيديهم لحالات تعذيب فضيعة، بلغت حد الإعدام حرقا، والتي كانت تسعى في مجملها إلى فرض التنصير على هؤلاء كرها ثم إلى طمس مظاهر الاختلاف والتميز، مهما كانت بسيطة، وبعيدة عن الدين والعقيدة[61]. وهذا يفسر ما يطبع هذه الكتابات من تحيز ولا موضوعية عندما يتعلق الأمر بالحديث عن المسلمين، نظرا لكون العديد من رجال الدين والسياسة المسيحيين آنئذ كانوا يحملون في قلوبهم حقدا دفينا تجاه كل ما هو غير مسيحي، بل نجد أن عقلية الحروب الصليبية استمرت حتى مع بعض رجال الدين وبعض الساسة في العصر الحالي[62].

## ◀ الهوامش :

1 - L. DE JURQUET DE LA SALLE - «La question berbère, la France et le Catholicisme» ; In Revue d'Histoire des Missions, Quatrième année, n° 1er septembre 1927, p. 329.

2 – تنظيم كاثوليكي عرف بحماسه الكبير للتنصير، ينتسب إلى القديس" فرنسوا داسيز" Saint François d'Assis وهو أحد رجال الدين الإيطاليين (1181/1182–1286) وابن أحد كبار التجار، اعتزل عائلته سنة 1206، وأصبح ناسكا، ثم داعية. قام بإحداث نظام «الرتب الكنسية الدنيا» Ordre des Frères Mineurs، والذين أصبحوا يعرفون باسم الفرانسيسكان، وقد تم الاعتراف بهذا التنظيم من قبل البابا» «إينسون الثالث» Innocent III 1216–1198 – سنة 1210.

3 - H. de CASTRIES – Sources inédites de l'Histoire du Maroc ; Introduction, p. 94.

4 – نفسه

5 – في البداية كانت هذه الإرسالية الدينية تتكون من ستة رجال دين فرانسيسكان، ويتعلق الأمر بـ «برار» Bérrard أو Bérard، و«بيير» (Pierre)، و«أتون» (Otton أو Othon)، وكلهم قساوسة، ثم هناك «أدجيت» (Adjut) و«أكيرس» (Accurse)، وهما راهبان فرانسيسكانيان، بالإضافة إلى زعيمهم «فيدال» (Vidal أو Vital)، والذي تغيب عن هذه المجموعة في آخر اللحظات بسبب مرضه، فقام «برار» بتعويضه كرئيس لهذه المجموعة.

- R. P. FACCHINETTI - "Les cinq premiers martyrs franciscains, Marrakech-1220" ; In Le Maroc Catholique, janvier 1932, p. 14.

6 - Ibid., p. 15.

7 - P. Henry KOEHLER - «Les Proto-Martyrs Franciscains» ; In Le Maroc Catholique, janvier 1934, p. 4.

8 - R. P. FACCHINETTI – "Les cinq premiers martyrs franciscains, Marrakech-1220" ; In Le Maroc Catholique, janvier 1932, p. 15.

9 - Ibid.

10 - Ibid.

11 - P. Henry KOEHLER - «Les Proto-Martyrs Franciscains» ; In Le Maroc Catholique, janvier 1934, p. 8.

12 - Th. CARRIERE - "Les martyrs de Marrakech" ; In Le Maroc Catholique, mai 1923, p. 261.

13 - Ibid.

- P. Henry KOEHLER – Op. cit., p. 8.

14 - Th. CARRIERE - "Les missions franciscaines au Maroc" ; In Le Maroc Catholique, octobre 1923, p. 486.

15 - Henri KŒHLER - La pénétration chrétienne au Maroc, La mission franciscaine ; p. 19.

16 - Th. CARRIERE – Op.cit.

17 - Ibid.

ويشير المؤرخ "فرانسيسكو ديل بويرطو" إلى أنه تم بناء كنيسة واحدة فقط في مراكش، وأن الأربعة الباقية كانت مجرد ملاجئ أقيمت في المناطق التي وجد فيها الأسرى، كما سمح السلطان المنتصر بالله للمسيحيين بالاجتماع في هذه المعابد وأداء شعائر عقيدتهم مثل ما تؤدى في كنيسة روما، وحضور الأساقفة فيها لتسيير شؤونها الدينية. وقد كانت محاولات فرنسوا داسيز تسعى إلى زرع وتنظيم الكنائس في المغرب الإسلامي لبعث القوة في الحروب الصليبية وتهييء أسباب الانتصار لها، كما تعكس الرأي القائل بأن أوربا لم تكن تعتمد على المواجهة الحربية التي كانت تعتبر الطريقة الشرعية الوحيدة لمواجهة المسلمين، ولكنها تحاول أن تحاور أتباع الإسلام لتوصلهم إلى الإيمان المسيحي.

- Francisco del Perto – Mission Historial, p. 83-116.

– بديعة الخرازي – تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، تقديم وترجمة ؛ منشورات المعارف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2007، ص. 23-22.

18 – إبراهيم القادري بوتشيش – مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين (من منتصف القرن 11 إلى منتصف القرن 12م) ؛ ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 48، الطبعة الأولى، 1995، ص. 98.

19 - Pierre de CENIVAL - "L'Église chrétienne de Marrakech au XIII[ème] siècle» ; In Hesperis, Tome VII, 1927, p. 69.

20 – يتعلق الأمر بالإضافة إلى "دانييل" (Daniel)، بالرهبان «صامويل» (Samuel)، «أنج» (Ange)، «دميلوس» (Damulus)، «ليون» (Léon)، «نيكولا» (Nicolas) و«هكولن» (Hugulin).

21 - Achille LEON - "Le Centenaire des martyrs franciscains de Ceuta (1227-1927)" ; In Le Maroc Catholique, décembre 1927, p. 1047.

22 – يشير أحمد بوشرب إلى أن البرتغاليين شرعوا انطلاقا من الثغور التي احتلوها في انتهاج سياسة الأرض المحروقة، وذلك قصد الحصول على الغنائم والأسرى، وإكراه المغاربة على الرضوخ لمشيئتهم وأداء الضرائب لهم. ولم تقتصر تلك الغارات على المناطق الساحلية فقط، بل شملت مناطق داخلية، وفضلا عما كان يحصل عليه البرتغاليون من حبوب وأفرشة، كانوا يعودون بمآت الأسرى والآلاف من رؤوس الأبقار والأغنام والجمال. وقد زاد من سطوة البرتغاليين، عجز المغاربة عن الرد على ذلك التحدي المسيحي نظرا لضعف السلطة المركزية آنذاك.

– أحمد بوشرب – النتائج السوسيوثقافية للغزو البرتغالي لسواحل

المغرب؛ ضمن: وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، م.س، ص.70-66.

23 - J. L. – "Le Maroc franciscain" In L'Almanach de Saint-François 1925 p. 67.

24 - Th CARRIERE – "Missions Franciscaines au Maroc, le martyre d'André de Spolète" ; In Le Maroc Catholique, août 1926, p. 332.

25 - Ibid., p. 333.

26 - Ibid.

27 - J. L. – Op.cit..

28 – من مواليد مدينة "ليون" الفرنسية سنة 1563، اعتنق التنظيم الفرانسيسكاني سنة 1584، اغتيل على يد الوليد بن عبد المالك في 24 ماي 1631، بعدما أساء الأدب بحضرة السلطان.

- "Martyre du Bienheureux Jean de Prado" ; In Le Maroc Catholique, mai 1927, pp. 745-748.

29 - Philippe LAURENT - "Le Maroc chrétien dans le passé, simple aperçu" ; In Le Maroc Catholique, février 1934, p. 50.

30 - Henry KŒHLER - "Les premiers franciscains au Maroc" ; In Les Missions Catholiques, 63ème année, n° 3134, 16 mai 1931, p. 216.

في عدد شهر ماي 1931، أعلنت Le Maroc Catholique عن إقامة أسقفية الرباط برئاسة «هنري فييل» حفلا تأبينيا، يوم 22 مارس بكنيسة (Saint-Antoine) بالصويرة، التي مر منها «حوان د برادو»، كما تم في 24 ماي بمدينة مراكش، إحياء الذكرى المائوية الثالثة لـ« استشهاد » هذا الأخير بهذه المدينة.

- "Centenaire du Bx Jean de Prado" ; In Le Maroc Catholique, mai 1931, p. 143.

31 - "Récits marocains : Un Sultan de Marrakech au XVII Siècle" ; In Le Maroc Catholique, juin 1923, p. 303.

32 – بخلاف ذلك يرى عبد العزيز بن عبد الله أن السلطان مولاي إسماعيل، والذي قدمه البعض في صورة « رجل فظ ومحب لسفك الدماء »، قد تم تصنيفه من قبل مؤرخين مسيحيين أنفسهم، بمثابة « الحامي الأكبر للفرانسيسكان »، لكونه منحهم العديد من الامتيازات، والتي لم تتجرأ أية أمة مسيحية على المطالبة بها، فقد أصدر ظهيرين (بتاريخ 20 دجنبر 1711م ويوليوز 1714م)، تم من خلالهما « إقرار عقوبة الإعدام في حق كل من تجرأ على إزعاج المسيحيين أو شتمهم ».

- Abdelaziz BEN ABDELLAH - «L'esprit de tolérance dans le Maghreb Musulman» ; In Confluent, n° 2, mai 1956, p. 18.

– في نفس السياق، أشار عبد الحي بنيس بالاستناد إلى مصادر مسيحية معاصرة لهذه الحقبة، أن مولاي إسماعيل كان يأمر القواد والشيوخ بمساعدة المسيحيين في رحلاتهم، وأن لا يمسوا شيئا من أمتعتهم، وكان يغضب من قواده وأعوانه إذا هم آذوا الأسرى المسيحيين، إذ يشير «موييت» إلى أن السلطان عندما علم بما يعانيه الأسرى المسيحيون بالقصر الكبير من سوء معاملة القائد عمر بن حدو، ثارت ثائرته، وبعث في طلبه، حتى أوتي به مكبلا بالحديد إلى مكناس، فوبخه وعاقبه على ذلك. كما كان يخصص الخيول، والبغال، والحمير، لنقل الأسرى منهم، وكذا لمبيتهم أثناء رحلاتهم. ومن مظاهر احترام المشاعر الدينية للأسرى المسيحيين، أن السلطان مولاي إسماعيل، سمح لهم بالاستفادة من العطل الخاصة بالأعياد المسيحية، هذا فضلا عن استفادتهم من عطل الأعياد الإسلامية. كما كان يرخص لهم بحضور مراسيم دفن الموتى من أصدقائهم أو مواطنيهم. بالإضافة إلى ذلك، فقد رخص لهم السلطان بتأسيس جمعيات خيرية دينية، ومن ذلك جمعية (Notre Dame de Miséricorde) بمكناس، والتي كان الهدف من تأسيسها، تقديم مساعدات للمرضى والمحتاجين من الأسرى. ويذكر «موييت» أنه أصبح أمين مالها ابتداء من سنة 1678م.

– عبد الحي بنيس – «مسألة الأسرى المسيحيين بالمغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل» ؛ ضمن أعمال ندوة السلطان مولاي إسماعيل، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل رقم 9، مكناس، 1995، ص. 186.

أنظر كذلك، بخصوص الأسرى في المغرب:

– عبد العزيز بن عبد الله – ««الأسرى في المغرب»؛ ضمن معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الجزء: 2، 1410/1989، ص. 404-406.

33 - Th. CARRIERE - "Les captifs chrétiens de Meknès" ; In Le Maroc Catholique, août 1924, p. 393.

34 - Henry KŒHLER - "Comment, en la ville de Méquinez, Notre-Dame sauva merveilleusement un captif jeté aux lions" ; In Le Maroc Catholique, mai 1930, pp. 280-282.

35 - Henry KŒHLER - "Les exécutions sanglantes de Moulai Ismaël et les captifs chrétiens d'après un manuscrite inédite de son temps» ; In Le Maroc Catholique, juin 1934, p. 181-182.

36 - Le Maroc Catholique, avril 1934, pp. 100-104 ; mai 1934, pp. 139-142 ; juin 1934, pp. 179-182.

37 - Le Maroc Catholique, avril 1934, p. 101.

– باستثناء "هنري كولر"، فإن جميع من كتبوا في هذا الموضوع ضمن مجلة Le Maroc Catholique، قد نقلوا هذه الأرقام دون تمحيص، ليس فقط بالنسبة للقساوسة ومختلف رجال الدين الكاثوليك، بل وحتى غيرهم من اللائكيين، كما هو الشأن بالنسبة لـ»ت. كاريير» (Th. CARRIERE)، وهو أستاذ التعليم الثانوي بالدارالبيضاء، والذي ألقى محاضرة بهذه المدينة، في إطار «الإتحاد الكاثوليكي لكنيسة (Notre-Dame)»، تحت عنوان «الأسرى المسيحيون بمكناس»، والتي قامت المجلة بنشرها ضمن عددها لشهر غشت 1924، وقد أشار الكاتب من خلالها، إلى أنه « على امتداد الفترة الطويلة من حكم السلطان مولاي إسماعيل، والتي بلغت 55 سنة، قام باغتيال بصفة شخصية 40.000 شخص، حسب شهادة الفرانسيسكاني «ديل بويرتو»Del Puerto (..) فهو يعتقد أن من حقه القتل استجابة لرغبته، وأن من بين وسائل الترفيه المفضلة إليه، القيام بالتمارين التالية: أن يمتطي صهوة جواده، ويستل سيفه، ويقطع رأس العبد الذي يساعده ».

– Th. CARRIERE - "Les captifs chrétiens à Meknès" ; In Le Maroc Catholique, août 1924, p. 302.

38 - Philippe LAURENT - "Le Maroc chrétien dans le passé, simple aperçu" ; In Le Maroc Catholique, avril 1934, p. 115.

39 - Henry KŒHLER - L'Église chrétienne du Maroc et la Mission Franciscaine 1221-1790 ; p. 216.

40- أول مدير لمجلة Le Maroc Catholique طيلة الفترة الممتدة من يناير 1921 إلى نونبر 1925.

41 - Alfred FERRIERE - "Le sang fécond, un massacre en 1912" ; In Le Maroc Catholique, avril 1921, p. 97.

– في الذكرى السادسة والعشرين لأحداث فاس الدامية، ذكرت Le Maroc Catholique أن عدد ضحايا الأيام الثلاثة لشهر أبريل 1912، بلغ 72 فرنسيا مدنيين وعسكريين، من بينهم المرشد العسكري والقس «ميشال فابر».

- "Chronique catholique et marocain" ; In Le Maroc Catholique, décembre 1948, p. 14.

42 - Alfred FERRIERE - op. cit., p. 99.

43 - Ibid.

44 - Marie - Pascal ANGLADE - "Au Maroc avec les Franciscains" ; p. 21.

45 - R. P. Henry KŒHLER - La pé-

- Philippe LAURENT - «Une page d'Histoire du Maroc Français» ; In Le Maroc Catholique, mars 1935, p. 107.

51 - Henry KOEHLER - Maroc ; Imprimerie Franciscaine Missionnaire, Vanves (Seine), 1931, p.31.

52 - Jean VASCO - "Le geste des proto martyrs de Marrakech dans la trame de l'Histoire" ; In Le Maroc Catholique, avril 1938, p. 87.

53 - Khadija SKALI - née Chrifi Alaoui- L'image des chrétiens dans les sources maghrébines au moyen âge ; Doctorat de 3éme cycle, Université de Bordeaux, mai 1982, (Inédite), p. 194.

54 - « Dieu m'a ordonné, nos chers fils de vous envoyer au pays des Sarrazins, pour annoncer et confesser sa foi et combattre la foi de Mohamet ».

- J. L. - "Le Maroc franciscain" ; In L'Almanach de St-François, 1925, p. 66.

55 - Louis MASSIGNON - "Le signe marial" ; In Rythmes du Monde, n° 3, 1948, p. 8.

56 - Marie-Pascal ANGLADE – "Un croisé pacifique: Saint-François d'Assise et le Maroc" ; In Au Maroc avec les franciscains, Procure des Missions Franciscaines, Bordeaux, 1936, p. 7.

57 - Louis MASSIGNON – "Le signe marial" ; In Rythmes du Monde, n° nétration chrétienne au Maroc-La mission franciscaine à Meknès ; p. 7.

46 - Perà - "Le Maroc à Bordeaux" ; In Le Maroc Catholique, août 1922, p. 328.

47 - Jean PEDRON - "Vingt-cinquième anniversaire de la paroisse St-Michel à Fès Médina (1912-1937)" ; In Le Maroc Catholique, avril 1937, p. 119.

- "Une belle œuvre: l'Eglise souvenir de Fès Batha" ; In Le Maroc Catholique, février 1930, p. 87.

كما تم تأسيس كنيسة صغيرة بالقنيطرة تحمل نفس الاسم (سان–ميشال).

- Marie-Lucien Dané - "La situation catholique au Maroc français" ; In **Le Maroc Catholique**, février 1921, p. 40.

48 - "Saint-Michel de Fès-Médina" ; In Le Maroc Catholique, mars 1931, p. 81.

- J. P. - «La fête patronale de St-Michel à l'Église de la Médina» ; In Le Maroc Catholique, novembre 1933, p. 344.

- «Fès : chronique Fassie, la fête du souvenir» ; In Le Maroc Catholique, juillet 1934, p. 191.

- R. P. Jean PEDRON - «Vingt-cinquième anniversaire de la paroisse Saint Michel à Fès Médina (25 avril 1937)» ; In Le Maroc Catholique, mai 1937, p.148-149.

49 - Marie-Pascal ANGLADE - "Au Maroc avec les franciscains" ; p. 21.

50 - X. – "La mission du Maroc français" ; In Le Maroc Catholique, octobre 1923, p. 479.

3, 1948, p. 8.

58 - Ibid., p. 50.

59 - Abdelaziz BENABDELLAH - L'Islam: concepts et préceptes (optiques et options afro-maghrébines) ; Collection Mission de l'Islam, Volume II, 1ère édition 1995, p. 156.

60 – ابراهيم القادري بوتشيش – "المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس" ؛ ضمن: مجلة دراسات أندلسية، عدد: 11، يناير 1994، ص. 24.

61 – للمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع، يرجى الرجوع إلى الأبحاث المميزة للأستاذ أحمد بوشرب:

– دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور ؛ البيضاء، دار الثقافة، 1984.

– مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر، دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم: 36، مطبعة فضالة، الطبعة الأولى، 1996.

– وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، منشورات دار الزمان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2007.

62 – تجدر الإشارة إلى أن رئيس الجمهورية الإيطالية "سيكني" (Segni)، حضر في مارس 1963، مراسيم قداس ديني رسمي، إحياء لذكرى الرهبان الإيطاليين الخمسة الذين تعرضوا للاغتيال بالمغرب سنة 1220، « إخلاصا لدينهم ».